الباب السادس

ذكر العلماء والصالحين فى جنى

وقد ساق اللهُ تعالى لهذه المدينة المباركة سُكاناً من العلماء والصالحين القادمين ، غير أهله من قبائل شتى وبلاد شتى ، منهم مورمغ كنكى أصله تاى سريه بين بيغ وكوكر فرحل إلى كابر لأخذ العلم ، ثم رحل إلى جنى فى أواسط القرن التاسع والله أعلم . كان فقيهاً عالماً صالحاً جليلَ القدر . أسرع إليه الطلبة لاقتباس فوائده ، وفى نصف ليل يخرج من داره إلى الجامع لنشر العلم ، فيجلس الطلبة حوله يأخذون العلم إلى الإقامة لصلاة الصبح ، ثم يعودون إليه بعد الصلاة إلى الزوال ، وفيها يرجع إلى داره ، ثم بعد صلاة الظهر كذلك إلى صلاة العصر .

هكذا عادته مع الطلبة إلى يوم واحد ، وهو فى صلاة الصبح مع الإمام ، سمع رجلاً بجَنبه يدعو فى السجود ، وهو يقول : اللهم إن مورمغ كنكر ضاق علينا البلد أرحنا منه . فلما سلَّم قال : يا رب لا أعرف مضرَّتى للناس حتى يُدعى علىَّ . فارتحل يومئذ من جنى إلى كونا فنزل فيها وسمع بخبره أهل جنج فبعثوا له القارب ، وارتحل فسكن فى جنج إلى أن تُوفى رحمه الله تعالى ونفعنا به ، وقبره هنالك معروفٌ يُزار .

ومنهم فودى الفقيه محمد ساقوا الونكرى [1] . كان فقيهاً عالماً عابداً صالحاً ولياً ، فسكن فى جنى فى أواخر القرن التاسع ، رحل من بلده فى أرض بيط لأجل فتنة وقعتْ فيها فتوجه إلى أرض جنى ، فبينما هو يسير ذات يوم حتى غربتْ عليه الشمسُ فى موضع تأخر فيه لأجل صلاة المغرب وبسط بُرنسه [2] وقام عليه يُصلى .

فلما فرغ من الفريضة قام يصلى النوافل ، فإذا اللص جاءوا إليه من ورائه فجبذ[3] البرنس من تحت رجله جبذاً رفيقاً فنحَّى رجله ذلك عنه ، ثم جبذه من تحت

---

(١) الونكري : نسبة لقبائل الونقارة ، وهى قبائل تعيش فى منطقة غرب إفريقيا ، وبلادهم تشتهر بأنها بلاد التبر .

(٢) بُرنس : عباءة مغربية مُزوَّدة بغطاء للرأس .

(٣) جبذ . أي : سحب .

الرِّجْل الأخرى فنحَّاه عن بعضه وهو قائم ثابت لا يبرح ، فخاف منه اللصُّ وردَّ البُرنس تحته على الحال الذى أخرجه فتاب على يديه والله أعلم .

فوصل فى مسيره إلى بلد طورا ، وهو قرية بين جنى وشين من وراء البحر فسكن فيه ، وبقى يأتى إلى جنى كل يوم جمعة لأداء فريضتها ولا يعرفه أحد . ثم إن واحداً من كبراء سلطانها ، رأى فى منامه من يقول له : إن هذا الرجل الذى يأتيكم من طورا لصلاة الجمعة ، فأىُّ بلد يسكن فيها هو وذريته فهو أمان لها من الفتن ، وأى بلد كان فيها قبره من توجه إلى أهلها بما يُروعهم روّعه بما هو أكبر منه ، وبقى يرى تلك الرؤيا إلى ثلاث مرات .

وفى المرة الثالثة نعته له فأخبر السلطان بالرؤيا إلى آخرها فأمره أن يرصده حتى يراه ويأتيه به ، فلما رآه وقد توافرت فيه النعوت أتى به إلى السلطان ، فقال له : هذا النعت الذى رأيت فأمره بالسُّكنى معهم فى جنى . فشرع فى تخريب بيت الصنم الذى يعبده جاهليهم مع الديار التى فى وسطها لأنها بقيت على حالها من حيث أسلموا خالية وعدَّها له دار السكنى ، فأعطاها إياه وعظَّمه وأكرمه غاية التعظيم والإكرام ، ومع ذلك كله لا يغشاهم فى ديارهم ولا يُجالسهم ، فراوده بذلك السلطان غير مرة فلم يجد منه .

ثم إن يوماً واحداً جاءه رجلٌ واحد من أهل طاعة السلطان ، بمأرب يريد منه أن يذهب معه إليه لإنقاذ روحه ، وقد توعَّده بالقتل ، فقال : ليس من عادتى أن آتيه فقال له : روحى على عنقك نخاصمك له به غداً بين يدى الله تعالى إنْ لم تذهب معى إليه ، فلما سمع منه ذلك القول عَظُمَ عنده وجاوز العظمة ، فذهب إليه فى الحين والساعة عاجلاً سرعاً .

فلما شُوور عليه تعجب من إتيانه فأذن له بالدخول ، فأخبره بسبب مجيئه . قال : عفوتُ عنه مع قبيلته أجمع من كلِّ ذنب وجناية ، ومن كلِّ ما يلزمهم من وظائف السلطنة إلى آخر الدهر ، لكن بشرط أن تأكل معى طعامى فرضى .

فلما أحضر الطعام بين أيديهما مدَّ الشيخ يده إلى الطعام ، انتفخ يده انتفاخاً شديداً قبل دخوله فى الطعام ، قال له : رأيت ما جرى . فقام وخرج عزيزاً مُكرَّماً ، وترك السلطانُ هذا الرجلَ وقبيلته كما وعد له ، هذه عصمة من الله تعالى لأوليائه الصالحين .

ولما رآه وليُّ الله تعالى الفقيه سيدى محمود بن عمر بن محمد اقيت [1] ، حين سافر إلى جنى عجبه حاله جداً ، فأثنى عليه لما رجع إلى تنبكت .

لذلك ولاَّه أمير المؤمنين إسكيا الحاج محمد قضاء مدينة جنى ، بعد رجوعه من الحج ، وهو أول قاضٍ فيها الذى يفصل بين الناس بالشرع . وقبل ذلك لا يتفاصل الناسُ إلا عند الخطيب بالصلح ، وهو شأنُ السودانيين والبيضان ، هم يتحاكمون عند القضاة ، وتلك عادةٌ جارية عندهم إلى الآن .

وجميع ما ذُكرَ فى بركاته رآها الناسُ وشاهدوها معاينة ، والدعاء مُستجابٌ عند روضته على القطع ، وهى رحبة الجامع عند محراب السور المحيط بها الشمالى رحمه اللهُ تعالى ورضى عنه ، وأعاد علينا من بركاته آمين .

ومن أهله القاضى عباس كب جنوى بلداً وعكرى أصلاً . كان فقيهاً عالماً جليلاً فاضلاً ، خَيِّراً سخياً ، له قَدمٌ راسخٌ فى السخاوة . وقبره فى داخل الجامع قريبٌ الى مُؤخّره من جهة اليمين رحمه الله تعالى .

ومنهم القاضى محمود بن أبى بكر بغيغ والد العالمين الفاضلين ، الصالحين الفقيه محمد بغيغ والفقيه أحمد بغيغ . وهو جنوى بلداً ونكرى أصلاً . كان فقيهاً عالماً جليلاً . تولَّى القضاءَ بعد وفاة القاضى العباس كب فى العام التاسع والخمسين بعد تسعمائة ، على يد الإسكيا إسحاق بن الأمير إسكيا الحاج محمد ، بعد رجوعه من غزوة تعب .

ومنهم القاضى أحمد ترف ابن القاضى عمر ترف جنوى الأصل والبلد . كان خطيباً ، ثم جُعلَ إمام الجامع ، ثم قاضياً ، فجمع المراتب الثلاث . ثم مشى للحج واستناب الخطيب ماما على الخطبة ، والإمام يحى على إمامة الجامع والقاضى مودب بكر تروري على القضاء . فتُوفِّى هنالك رحمه الله تعالى . وبقوْا فى تلك المراتب راتبين، أما القاضى بكر المذكور فهو كلوى أصلاً من أولاد سلاطينها ، فزهد فى السلطنة وخدم العلم ، فنال بركته .

ومنهم القاضى محمد بنب كنات ونكرى الأصل ، كان فقيهاً عالماً جليلاً ،

---

(١) محمود بن عمر : بن على الصنهاجى ، تولى قضاء تنبكت فى عام ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م ، قام برحلة للحج ، وقابل القلقشندى ، وأعطاه إجازة للتدريس . انظر : كتاب (نيل الابتهاج بتطريز الديباج) كلية الدعوة الإسلامية ، ليبيا . ص ٦٠٧ .

تولى القضاء بعد وفاة القاضى بكر تروري ، فهو آخر القضاة فى دولة السودانيين ، فهؤلاء من علماء مدينة جنى المشهورين ، ولم نُوردهم فى هذا الكتاب إلا لأجل شهرتهم بالعلم وتبركاً بذكرهم .

وأما ذكر القضاة على الترتيب ، فأولهم القاضى محمد فودى سانو ، ثم القاضى فوك ، ثم القاضى كناجى ، ثم القاضى تنتاع ، ثم القاضى سنقم ، ثم القاضى العباس كب ، ثم القاضى محمود بغيغ ، ثم القاضى عمر ترف ، ثم القاضى تلماكلس ، ثم القاضى أحمد ترف بن القاضى عمر ترف ، ثم القاضى مودب بكر تروري ، ثم القاضى محمد بنب كنات .

فهؤلاء قضاة من أول دولة أمير المؤمنين إسكيا الحاج محمد إلى آخرها . والقضاة بعدهم فى المدينة المذكورة سيأتى ذكْرهم إنشاء الله تعالى ، عند ذكر الدولة الأحمدية الهاشمية العباسية الملوية [1] . صاحب مراكش رحمه الله تعالى . وأما علماء البيضان فقد سكن فيها كثيرٌ من أهل تنبكت . وسيأتى ذكْرُ بعضهم إن شاء الله عند ذكر الوفيات فى الدولة الأحمدية المذكورة .

(١) المقصود بها دولة الأشراف السعديين .